

أثر سوء فهم الأساتذة لبعض المفاهيم في الترجمة على تدريسها

أ.د. عبدالله بن حمد الحميدان

كلية اللغات والترجمة، جامعة الملك سعود، الرياض

مؤتمر أساتذة اللغة الإنجليزية والترجمة في الجامعات العربية

عمان، أغسطس ٢٠٠٣

الجانب الأول: سوء فهم لمعنى عملية الترجمة

لا يقتصر سوء فهم معنى الترجمة على العامة من الناس، بل يتعدى ذلك ليصل إلى القائمين على تدريب وإعداد المترجمين في المؤسسات الأكاديمية المختصة بالترجمة والمترجمين، وهذه الشريحة من المجتمع هي التي تهمنا أكثر من غيرها لما لسوء فهمها لمعنى الترجمة من أثر سلبي على إعداد المترجمين وتقييم الترجمات وما إلى ذلك. أما الإشكالية الأولى الخاصة بسوء فهم عملية الترجمة لدى القائمين على إعداد المترجمين في المؤسسات الأكاديمية، فنكمن في اعتمادهم اتجاهاً واحداً للترجمة وهو الميل إلى اعتماد الترجمة الحرفية للنص وكأنها الترجمة القياسية المثلى بغض النظر عن نمط النص والغرض من الترجمة وطبيعة لغة وثقافة النص الهدف. وهذا الاتجاه الخاطئ ينبع أصلاً من سوء فهم لأمرين:

الأول هو الاعتقاد بإمكانية تطابق مباني وتراكيب وألفاظ اللغة التي يترجمون عنها مع مباني وتراكيب وألفاظ اللغة التي يترجمون إليها. وهذا ينجم عن عدم التزامهم بأول مبدأ أساسي في علم اللسانيات وهو أن التطابق التام ما بين مباني وألفاظ لغة ما وأخرى غير وارد على الإطلاق بالرغم من الاعتراف بوجود قواسم مشتركة عالمية ما بين اللغات Language Universals. إلا أن خصوصية مباني وأسلوب وأدوات البيان في كل لغة تمنع من تحقيق تطابق تام ما بين لغة وأخرى.

ومن هنا فإن عدم الالتفات إلى هذه الظاهرة اللغوية المعروفة يؤدي ببعض الأكاديميين القائمين على إعداد وتدريب المترجمين في المعاهد والجامعات إلى التركيز على مقارنة جمل وتراكيب وألفاظ اللغة الهدف (النص المترجم) بجمل وتراكيب وألفاظ لغة النص المصدر؛ ومن هنا تصبح عملية تقييم أو مراجعة الترجمة التي يقدمها الطالب إلى أستاذه عملية تحليل تقابلي على مستوى المفردات والجمل دون النظر إلى الترجمة على أنها عملية تواصل ما بين أفكار كاتب النص المصدر ومتلقي الترجمة أي قراء النص الهدف وهكذا فإن الإيحاءات الثقافية المتعلقة بكل أجزاء النص وأبعاده تصبح مفقودة من الترجمة، لا بل إن التأثير المقصود للنص المصدر على قرائه لن يكون في الحسبان عند تقييم النص الهدف والذي يجب أن يكون له نفس التأثير على قرائه. وبهذا الخصوص يحذر مؤلفا كتاب "الخطاب والمترجم" حاتم وميسون (١٩٩٠) Discourse and the Translator من الوقوع في هذا

الخطأ الفادح أي النظر إلى عملية الترجمة على أنها عملية مقارنة ما بين تراكيب ومفردات النص المصدر وتراكيب ومفردات النص الهدف، وهنا أقتبس عن المؤلفين:

"إن جزءاً كبيراً من المناقشة في نظرية الترجمة هو عن أوجه التباين البنيوي (أي المباني والتراكيب) بين الأنظمة اللغوية وليس عن عملية التواصل عبر الحواجز الثقافية؛ بل جمل منفردة منزوعة من سياقها بدلاً من التعامل مع نصوص فعلية، وهكذا تصبح نظرية الترجمة فرعاً من علم الألسنية التقابلي وتصبح مشكلة الترجمة مشكلة عدم التعادل أو التطابق لبعض الأدوات اللغوية المجردة من السياق بين لغات مختلفة".¹

إن هذا الاتجاه في فهم الترجمة على أنها عملية تحليل تقابلي على مستوى المفردات والجمل المجردة من سياقها ومضامينها وعلاقاتها الدلالية مع الجمل الأخرى داخل كيان متكامل أي داخل النص هو الاتجاه الذي يسيطر على مناقشة أساتذة الترجمة لترجمات طلابهم في الجامعات والمعاهد العليا. إذ تتحول المناقشة إلى تقديم المفردات العربية المقابلة لمفردات النص بالإنجليزية أو العكس ويمضي المدرس الوقت مع طلابه في مناقشة قوائم المفردات وأشباه الجمل وكأن المحاضرة هي في تدريس المفردات أو النحو. ربما كان المبرر لذلك هو استخدام الترجمة كوسيلة لتعليم اللغة الإنجليزية وليس للتدريب على الترجمة كمهارة واختصاص، تاريخياً كانت الترجمة أحد وسائل تدريس اللغة الأجنبية وكانت من مقررات برامج اللغة. وقد تناول ذلك بيتر امري في بحثه الذي نشره في المجلة الدولية لدراسات اللغتين العربية والإنجليزية فقال:

" إن تسعة عشر مؤسسة جامعية لتدريس برامج البكالوريوس في الجامعات البريطانية تستخدم الترجمة لرفع كفاءة الطلاب في اكتساب اللغة الأجنبية...".²

¹ Hatim, b.and I. Mason.1990. Discourse and the translator, London: hangman. P. 39.

² Emery, P.G. 2000. " Introduction & Translation Throng and contrastive Text log in Arab University Translation classed) International Journal of Arabic – English Studies, vol. 1 No. 1, p. 105.

ولا بد من التركيز هنا بأن هذا الاتجاه الخاطئ لفهم عملية الترجمة مرتبط أصلاً بفهم خاطئ لأبسط مبادئ علم الألسنية وهو التباين والاختلاف ما بين المباني والأساليب للغات المختلفة كما أسلفت. وبهذا الخصوص يشير حاتم وميسون في كتابهما "الخطاب والمترجم" (١٩٩٠) (ص. ٤٠-٤١) إلى أنه لا يختلف اثنان على أن عدم وجود تطابق تام بين الفئات والتراكيب النحوية بما فيها نظام الأزمنة وأسماء الإشارة وظروف الزمان والمكان ... الخ. يؤدي إلى خلق مشكلات للمترجم.

ولإعطاء أمثلة بسيطة على هذه الاختلافات ما بين اللغات، انظر إلى الترجمات الحرفية السيئة التالية، فعلى سبيل المثال ترجم أحدهم الجملة "The RAF bombed the houses and plants" قذفت "الراف" (والمقصود بها هنا طائرات سلاح الجو الملكي البريطاني) البيوت والأعشاب بينما المقصود هو قذفت الطائرات البيوت والمصانع. انظر مثلاً كيف يمكن أن نترجم: "I have a plane to catch" والتي لا بد من ترجمتها حسب المعنى دون الالتزام بكلماتها بشكل حرفي فعادة نقول: "اقترب موعد الرحلة؛ أو اقترب موعد رحلتي" ولاحظ أيضاً الاختلاف اللغوي ما بين: "السماء تمطر والتي نترجمها "It rains" وليس "The sky rains" وعبارة "It is raining cats and dogs" والتي نترجم "إنها تمطر بغزارة". ناهيك عن العديد من العبارات الاصطلاحية الجاهزة Idioms والأقوال المأثورة والحكم والتي لا يترجم معظمها حسب معانيها اللغوية بل حسب ما اصطلح عليه القوم كمعاني لها، فعلى سبيل المثال: لا توجد علاقة لغوية ما بين "He kicked the bucket" و"توفي الرجل"، أو عبارة: "He`s driving me up the wall" أي: "إنه يخرجني عن طوري أو يضايقني لدرجة الجنون". ولا داعي للاستفاضة في تقديم الأمثلة على الاختلافات اللغوية والتي لا بد أن لديكم المعرفة التامة بها وبأمثلة عليها.

الجانب الثاني من سوء الفهم: إسقاط عنصر السياق للنص المصدر والهدف وطبيعة المواد التدريسية

لمقررات الترجمة

إن عدم إبراز الدور الرئيسي للسياق في عملية الترجمة هي مشكلة كبرى، لأن عدم تذكير المترجم بطبيعة النص ومؤلفه وهدفه البلاغي والمصدر الذي أخذ منه النص والهدف في الترجمة وعلاقة

المستخدمين المتلقين للترجمة هي عناصر أساسية؛ إذ لا يمكن أن تتم الترجمة بشكل صحيح دون أخذها بالاعتبار. والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: ما طبيعة النصوص التي يستخدمها مدرسو مقررات الترجمة في برامج الترجمة؟ ومن أين يأتون بها؛ وأهم من ذلك كله: هل يستحضرون مع الطلبة المتدربين على الترجمة كل عناصر السياق المذكورة آنفاً قبل أن يبدأ المترجم المتدرب بالترجمة؟؟

إن معظم النصوص التي يتدرب عليها المترجم هي نصوص جامدة مجردة من سياقاتها؛ فهي نصوص مستتة من صفحات الصحف المحلية أو المجلات ولكن المدرس لا يخلق السياق الاجتماعي الثقافي الذي يحيط بعملية الترجمة كما يحصل في الحياة العملية. والسؤال الآن هو: أليس هذا فارق ما بين المدرس الذي يعطي كل عناصر السياق للطلبة قبل الترجمة، كأن يحضر نصاً من مؤسسة معينة/عامة/خاصة ويناقش مع الطلبة الغرض من الترجمة ونوعية المستقبلين لترجمتهم المتوقعة وطبيعة تلك المؤسسة؟ وهنا أود أن أشير إلى التناقض ما بين تدريس الترجمة في المؤسسات الأكاديمية بمعزل عن سياقاتها في الميدان وبمعزل عن الإطار الاجتماعي الثقافي لها أو بمعزل عن المؤسسات الثقافية والاجتماعية التي تتم فيها عملية الترجمة. إن عدم استخدام مواد مستقاة من الميادين العملية ومن مؤسسات القطاع العام والقطاع الخاص لتدريب الطلبة المترجمين يجعل من تلك العملية مجرد تمرينات على الفوارق ما بين اللغتين، لغة النص المصدر ولغة النص الهدف.

وهكذا تكون عملية الترجمة منزوعة من إطارها الاجتماعي الثقافي في حين أن الأصل فيها كما يشير حاتم وميسون في كتابهما "الخطاب والمترجم" (١٩٩٠) فذكروا أن:

"عملية الترجمة هي عملية تواصلية بين منتجي النص المصدر ومتلقي النص

الهدف وهي تحدث في إطار اجتماعي ثقافي معين له ظروفه الاجتماعية

وأغراضه التواصلية والتداولية."³

كما أنهما يؤكدان على ربط بواعث المترجم والقرارات التي يتخذها إزاء توجهه في الترجمة بالسياق الاجتماعي الثقافي الذي تتم فيه عملية الترجمة، وعليه فإن من الأهمية بمكان إلا نحكم على نشاط

³ Hatim, b.and I. Mason.1990. Discourse and the translator, London: hangman. P. 4.

الترجمة إلا من خلال سياقها الاجتماعي، فعلى سبيل المثال، قبل الترجمة لا بد من وجود حاجة أو هدف لتلك الترجمة وهذه الحاجة قد تكون لعمل، كأن يكلف شخص ما المترجم بالترجمة أو يطلبها منه أو يأمر بها وقد تكون الترجمة عملاً تجارياً كأن يطلب الناشر من المترجم عملاً أدبياً معيناً ليترجمه باللغة الأجنبية وقد تكون الترجمة بدافع من المترجم نفسه كأن يقوم بترجمة أو إعادة ترجمة عمل أدبي قديم لمجرد شعوره بأنه سيقدم شيئاً جديداً، كما أن منزلة النص المصدر كنتاج اجتماعي أي نتيجة للدوافع والاعتبارات الاجتماعية التي أدت إلى إنتاج النص بالإضافة إلى نوعية القراء الموجه إليهم ذلك النص، والظروف الاجتماعية والاقتصادية التي تصاحب إنتاجه وترجمته واستقبال قراء النص الهدف له، كلها عوامل وثيقة الصلة بدراسة عملية الترجمة؛ ولو استعرضنا تاريخ الترجمة على مدى السنين منذ القرن الثامن حينما طلب خليفة بغداد من الفلاسفة المقيمين في مصر ليقوموا بترجمة كتب الحضارة اليونانية والقبطية، وأنه منذ إنشاء بيت الحكمة حتى عصر المترجمين المعاصرين الذين يعملون لأكثر المنظمات الدولية ومنذ أيام ترجمة الأدب الكلاسيكي التي قام بها الرواد الأوائل إلى ترجمة الإنجيل إلى الإنجليزية، لوجدنا أنه على مدى كل هذه العصور، كان عمل المترجمين ولا يزال انعكاساً للنظم الاجتماعية السارية في عصورهم وتأثيراً فيها؛ وعليه فإن دراسة وتدريس الترجمة بمعزل عن العوامل المحيطة بها لا بد وأن تؤدي بالتالي إلى فقدان جزء مهم من هذه الظاهرة، وواقع الأمر قد يكون السياق الاجتماعي لترجمة معينة أهم من تحديد نوع النص كالنوع الأدبي أو السياسي الذي ينتمي إليه النص Genre كنص يمثل المحاضرة أو الخطبة أو المقالة الأدبية؛ وقد كان لتقسيم الترجمة على أساس نوع النص كأن نقول الترجمة الأدبية والترجمة السياسية والترجمة الإعلامية والترجمة الدينية ... الخ، الأثر السلبي ذلك لأن هذه التقسيمات للنصوص من شأنها أن تغفل أوجهاً معينة ورئيسية مثل التشابه بين نصوص ذات مجالات مختلفة، فالقواعد الخاصة بتنظيم إجراءات كتابة الخطاب/النص تتجاوز حدود تقسيم النصوص على أساس النوع وحسب حقلها أو مجالها أو مواضيعها فقط.

إن الأصل في التدريب على الترجمة هو اختيار النصوص على أساس أنماطها أي على أساس نمط النص السردي ونمط النص الجدلي ونمط النص القانوني. وهذه التصنيفات معروفة في أدبيات الموضوع ولدى معظم القائمين على دراسات الترجمة في العالم.

1. Mona Baker. 1992. In other words.
London: Rutledge
2. Bassnett, s. 1996. Translation Studies.
London: Rutledge.
3. Hatim, b. and I. Mason. 1990. Discourse and the translator, London: hangman.
4. Cat ford, J.c. 1965. A linguistic theory of Translation. London: Oxford University press.
5. Anani, M .1992. Fannual-Tarjamah (The art of Translation). Cairo: international Egyptian corporation for publishing (Long man).
6. Didaoui, M. 1994. Translation Terminology Bulletin, No. 3. Vienna, Unido.
7. Nida. E.A. 1964. Toward a Science of Translation. heiden : E.J. Briu .
8. Nida, E.A. And Taber, C.R. 1969. The Theory and Practice of Translation. Leidon : E.J.Brill
9. Ilyas, A. 1989. Theories of Translation . Mosnl, University of Mosnl.
10. Newmark, P. 1988. A Textbook of Translation. New York: Prentice Hall.
11. Shunnaq . A. 1993. Lexical Incongruence in Arabic-English Translation Dull to Emotiveness in Arabic. Turjuman, 2(2)pp: 37-63.
12. Arrojo , R. (1998). The Revision of the Traditional Gap between Theory and practice and the Empowerment of Translation in post modem Times. The Translator, 4(1): 25-48.
13. As – Safi . A.B. 1994. “ The Dynamic us static Translation of literary Texts from English into Arabic . Turjuman, 3(1): 57-79.
14. Bahumaid, S. A. 1996. “On the tertiary of Translation and the University Level. Turjuman, 4(2): 95-104.
15. Emery, P.G. 2000. “ Introduction & Translation Throng and contrastive Text log in Arab University Translation classed) International Journal of Arabic –English Studies, vol. 1 No. 1, 105-113